

تفسير البغوي

123 - قوله تعالى : { وإن إلياس لمن المرسلين } روي عن عبد الله بن مسعود قال : إلياس هو إدريس وفي مصحفه : وإن إدريس لمن المرسلين وهذا قول عكرمة .
وقال الآخرون : هونبي من أنبياءبني إسرائيل .
قال ابن عباس : هو ابن عم اليشع .

قال محمد بن إسحاق : هو إلياس بن بشر بن فتحاص بن العيزار بن هارون بن عمران .
وقال أيضاً محمد بن إسحاق والعلماء أصحاب الأخبار : لما قبض الله حزقييل النبي A عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله فبعث الله إليهم نبياً وكانت الأنبياء من بني إسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة وبنو إسرائيل كانوا متفرقين في أرض الشام وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح الشام بواها بني إسرائيل وقسمها بينهم فأحل سبطاً منهم بيعلبيك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم إلياس فبعثه الله تعالى إليهم نبياً وعليهم يومئذ ملك يقال له : آجب قد أضل قومه وأجبرهم على عبادة الأصنام وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له : بعل وكان طوله عشرين ذراعاً وكان له أربعة وجوه فجعل إلياس يدعوه إلى الله وهم لا يسمعون منه شيئاً إلا ما كان من أمر الملك فإنه صدقه وآمن به فكان إلياس يقوم أمره ويسدده ويرشهده وكان لآجب الملك هذا امرأة يقال لها : أربيل وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزارة أو غيرها وكانت تبرز للناس وتقضى بين الناس وكانت قاتلة للأنبياء يقال : هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليها السلام وكان لها كتاب رجل مؤمن حكيم يكتبه إيمانه وكان قد خلص من يدها ثلاثة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت في سورة يس نفسها غير محسنة وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني إسرائيل وقتلت كلهم بالاغتيال وكانت معمراً يقال أنها ولدت سبعين ولداً وكان لآجب هذا جار رجل صالح يقال له مزدكي وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ومرمتها وكانت الجنينة إلى جانب قصر الملك وأمرأته وكانت يشرفان على تلك الجنينة يتذمرون فيها ويأكلان ويشربان ويقيبان فيها وكان آجب الملك يحسن جوار صاحبها مزدكي ويحسن إليه وأمرأته أربيل تحسد لآجل تلك الجنينة وتحتال أن تغصبها منه لما تسمع الناس يكترون ذكرها ويتعجبون من حسنها وتحتال أن تقتله والملك ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلاً ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد وطالع ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلاً ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد وطالع غيبته فاغتنمت امرأته أربيل ذلك فجمعت جمعاً من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي أنه سب

زوجها آجب فأجا بوها إليه وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك إذا قامت عليه البينة فأحضرت مزدكي وقالت له : بلغني أنك شتمت الملك فأنكر مزدكي فأحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور فأمرت بقتله وأخذت جنينته فغضب الله عليهم للعبد الصالح فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر فقال لها : ما أصبت ولا أرانا نفلح بعده فقد جاونا منذ زمان فأحسنا جواره وكفينا عنه الأذى لوجوب حقه علينا فختمت أمره بأسوأ الجوار فقالت : إنما غضبت لك وحكمت بحكمك فقال لها : أو ما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره ؟ قالت : قد كان ما كان فبعث الله تعالى إلى آجب الملك وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب لوليه حين قتلوه ظلماً وآلى على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما ولم يردا الجنينة علىورثة مزدكي أن يهلكهما يعني آجب وامرأته في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقا تين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما ولا يتمتعان به إل قليلاً قال : فجاء إلياس وأخبره بما أوحى الله تعالى إليه في أمره وأمر امرأته ورد الجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال له : يا إلياس وما أرى ما تدعوا إليه إلا باطلة وما أرى فلاناً وفلاناً - سمي ملوكاً منهم قد عبدوا الأواثان - إلا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويتمتعون مملكتين ما ينقص من دنياهم أمرهم الذي تزعزع أنه باطل وما نرى لنا عليهم من فضل قال : وهم الملك بتعذيب إلياس وقتلها فلما أحس إلياس بالشر [والمكر به] رفضه وخرج عنه فلحق بشواهد الجبال وعاد الملك إلى عبادة بعل وارتقي إلياس إلى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغاره فيه .

ويقال : إنه بقي سبع سنين شريداً خائفاً يأوي إلى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره فلما مضى سبع سنين أذن الله في إظهاره عليهم وشفاء غطيه منهم فأمراض الله أباً لآجب وكان أحب ولده إلى الله وآشبعهم به فأدنه حتى يئس منه فدعا صنميه بعلا - وكانت قد فتنوا ببعل وعظموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن - فوكلهم به وجعلوهم أنبياءه وكان الشيطان يدخل في جوف الصنم فيتكلم والأربعمائة يصفون بآذانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس إليهم الشيطان بشرعية من الضلال فيبئثونها للناس فيعملون بها ويسمونهم أنبياء .

لما اشتد مرض ابن الملك طلب إليهم الملائكة أن يتشفعوا إلى بعل ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبهم ومنع الله الشيطان فلم يمكنه لالولوج في جوفه وهم مجتهدون في التضرع إليه فلما طال عليهم ذلك قالوا لآجب : إن في ناحية الشام آلة أخرى فابعث إليها أنبياءك فلعلها تشفع لك إلى إلهك بعل فإنه غصبان عليك ولو لا غضبه عليك لأجاك قال آجب : ومن أجل ماذا غضب علي وأنا أطيعه ؟ قالوا : من أجل أنك لم تقتل إلياس وفرطت فيه حتى نجا سليماً وهو كافر بإلهك قال آجب : وكيف لي أن أقتل إلياس وأنا مشغول عن طلبه بوجع

ا بنى وليس لإلياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفي ابني لفرغت لطلبه حتى أجده فاقتله فأرضي إلهي ثم إنه بعد أنباءه الأربعمائة إلى الآلهة التي بالشام يسألونها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفي ابنه فانطلقوا حتى إذا كانوا الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله تعالى إلى إلياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلمهم وقال له : لا تخاف فإني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم فنزل إلياس من الجبل فلما لقيهم استوقفهم قلما وقفوا قال لهم : إن الله تعالى أرسلني إليكم وإلى من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا إليه وقولوا له : إن الله تعالى يقول لك : ألسنت تعلم يا آجيأني أنا لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فجهلك وقلة علمك حملك على أن تشرك بي وتطلب الشفاء لابنك من غيري ومن لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلا ما شئت إني حلفت باسمي لأغيظنك في ابنك ولأميتك في فوره هذا حتى تعلم أن أحداً لا يملك له شيئاً دوني .

فلما قدم لهم هذا رجعوا وقد ملئوا منه رعباً فلما صاروا إلى الملك أخبروه بأن إلياس قد انحط عليهم وهو رجل نحيف طوال قد نحل وتمطر شعره وتقشر جلده عليه جبة من شعر وعباءة قد خللتها على صدر بخلال فاستوقفنا فلما صار معنا قذف له فغي قلوبنا الهيبة والرعب فانقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكبير فلم نقدر على أن نكلمه ونراجه حتى رجعنا إليك وقصوا عليه كلام إلياس فقال آجي : لا تنتفع بالحياة ما كان إلياس حيا وما يطاق إلا بالمر والخدية فقيص له خمسين رجلاً من قومه ذوي القوة والبأس وعهد إليهم عهده وأمرهم بالاحتيال له والاغتيال به وأن يطمعوه في أنهم قد آمنوا به هم ومن وراءهم [ليستنهم إليهم] ويفتر بهم فيما يكتنفهم من نفسه فإذا تون به ملتهم فانطلقوا حتى ارتفعوا ذلك الجبل الذي فيه إلياس ثم تفرقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم ويقولون : يا نبي الله ابرز لنا وامن علينا بنفسك فإننا قد آمنا بك وصدقناك وملتنا قد بلغنا رسالتك وعرفنا ما قلت [فاما بك وأجبناك الله ما دعوتنا فهلم إلينا وأقم ما بين أظهرنا واحكم فيماينا] فإننا ننقاد لما أمرتنا ونتهي بما نهيتنا وليس يسعك أن تختلف عنا مع إيماناً وطاعتمنا فارجع إلينا وكل هذا منهم مماكرة وخدية .

فلما سمع إلياس مقالتهم وقعت في قلبه وطبع في إيمانهم وخاف الله إن هو لم يظهر لهم فألهمه الله التوقف والدعاء فقال : اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأذن لي في البروز إليهم وإن كانوا كاذبين فاكتفيهم وارمهم بنار تحرقهم بما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحتربوا أجمعين قال : وبلغ آجي الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء واحتلال ثانياً في أمر إلياس وقيص له فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم من الحيلة والرأي فأقبلوا أي : حتى توقلوا أي : صعدوا قلل تلك الجبال متفرقين وجعلوا ينادون يا نبي الله إننا نعود بما

وبك من غضب الله وسطواه إننا لسنا كالذين أتوك قبلنا وإن أولئك فرقة نافدوا إليك ليكيدوا بك في غير رأينا ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكيفناك مؤنتهم فالآن قد كفاك ربكم أمرهم وأهلكهم وانتقم لنا ولهم فلما سمع إلياس مقالتهم دعا الله بدعوته الأولى فأمطر عليهم النار فاحتربوا عن آخرهم وفي كل ذلك ابن الملك في البلاء الشديد من وجده فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غصباً علة غضب وأراد أن يخرج في طلب إلياس بنفسه إلا أن شغله عن ذلك مرض ابنه فلم يمكنه فوجه نحو غلياس المؤمن الذي هو كاتب امراته رجاءً أن يأنس به إلياس فينزل معه وأظهر للكاتب أنه لا يريد ب إلياس سوءاً وإنما أظهر له لما اطلع عليه من إيمانه وكان الملك مع اطلاعه على إيمانه مغضباً عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة وسداد الرأي فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وأوعز إلى الفئة - دون الكاتب - أن يوثقوا إلياس ويأتوا به إن أراد التخلف عنهم وإن جاء مع الكاتب واثقاً به لم يروعوه ثم أظهر مع الكاتب الإنابة وقال له : قد آن لي أن أتوب وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني وقد عرفت أن ذلك بدعة إلياس ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فنهلك بدعوته فانطلق إليه وأخبره أنا قد تبنا وأنينا وأنه لا يصلحنا في توبتنا وما نريد من رضاء ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون إلياس بين أظهرنا يأمرنا وبينهانا ويخبرنا بما يرضي ربنا وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام وقال له : أخبر إلياس أنا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد وأرجينا أمرها حتى ينزل إلياس فيكون هو الذي يحرقها ويهلكلها وكان ذلك مكرًا من الملك .

فانطلق الكاتب والفتنة حتى علا الجبل الذي فيه إلياس ثم ناداهن فعرف إلياس صوته فتاقت نفسه إليه وكان مشتاقاً إلى لقائه فأوحى الله تعالى إليه أن أبرز إلى أخيك الصالح فالله جدد العهد به فبرز إليه وسلم عليه وصافحة وقال له : ما الخبر ؟ فقال المؤمن : إنه قد بعثني إليك هذا الجبار الطاغية وقومه ثم فص عليه ما قاغلوا ثم قال له : وإنني لخائف إن رجعت إليك ولم است معني أن يقتلني فمرني بما شئت أفعله إن شئت انقطعت إليك وكنت معك وتركته وإن شئت جا هدته معك وإن شئت ترسلني إليك بما تحب فأبلغه رسالتك وإن شئت دعوت ربك يجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن كل شيء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وإن آجب إن أخبرته رسله أنك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اتهمه وعرف أنه قد داهن في أمرك فلم يؤمن أن يقتله فانطلق معه فإني سأشغل عنكما آجب فأضاعف على ابني البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فإذا مات فارجع عنه قال : فانطلق معهم حتى قدموا على آجب وأصحابه عن إلياس فرجع إلياس سالماً إلى مكانه فلما مات ابن آجب وفرغوا من أمره وقل جزعه انتبه إلياس وسال عنه الكاتب الذي جاء به فقال : ليس لي به علم شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه فانصرف عنه آجب

وتركه لما فيه من الحزن على ابنه .

فلما طال الأمر على إلیاس مل السكون في الجبال واشتاق إلى الناس نزل من الجبل فانطلق حتى نزل بامرأة من بنى إسرائيل وهي أم يونس بن متى ذي النون استخفى عندها ستة أشهر ويونس بن متى يومئذ مولود يرضع فكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ثم إن إلیاس سئم ضيق البيوت بعد تعوده فسحة الجبال فأحب اللحوق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه فجزعت أم يونس لفراقه فأوحشها فقدمه ثم لم تلبث إلا يسيرا حتى مات ابنتها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب إلیاس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه فوجده وقلت له : إني قد فجعت بعده لموت ابني فعظمت فيه مصيبي واشتد لفقده بلائي وليس لي ولد غيره فارحمني وادع لي ربك جل جلاله ليحيي لي ابني وإنني قد تركته مسجى لم أدفعه وقد أخفيت مكانه فقال لها إلیاس : ليس هذا مما أمرت به وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرني ربي فجزعت المرأة وتضرعت فأعطف الله تعالى قلب إلیاس لها فقال لها : متى مات ابني ؟ قالت : له أربعة عشر يوما فتوضا وصلى ودعا فأحيا الله تعالى يونس بن متى فلما عاش وجلس وشب إلیاس وتركه وعاد إلى موضعه .

فلما طال عصيان قومه صاق بذلك إلیاس ذرعا فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود : يا إلیاس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه ؟ ألس أميّن على وحيي وحجي في أرضي وصفوتي من خلقي ؟ فسلني أعطيك فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال : تميّتنى وتلحقنى بآبائى فإني مللت بنى إسرائيل وملوني فأوحى الله تعالى إليه : يا إلیاس ما هذا باليوم الذي أعرى عنك الأرض وأهلها وإنما قوامها وصلاحها بك وبأشباهك وإن كنتم قليلا ولكن سلني فأعطيك فقال : إلیاس : إن لم تمتني فأعطي ثأري من بنى إسرائيل قال الله تعالى : فأي شيء تريد أن أعطيك ؟ قال تمكّنني من خزائن السماء سبع سنين فلا تنتشر عليهم سحابة إلا بدعوي ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتي فإنه لا يذلهم إلا ذلك قال الله تعالى : يا إلیاس أنا أرحم بخلقي من ذلك وإن كانوا طالمين قال : فست سنين قال : أنا أرحك بخلقي من ذلك قال : فخمس سنين قال : أنا أرحم بخلقي من ذلك ولكنني أعطيك ثأرك ثلاثة سنين أجعل خزائن المطر بيديك قال إلیاس فبأي شيء أعيش ؟ قال : أسرر لك جيشا من الطير ينقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض التي لم تقطط قال إلیاس : قد رضيت قال : فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جدا شديدا وإلیاس على حالته مستخف من قومه يوضع له الرزق حيث ما كان وقد عرف ذلك قومه وكأنوا إذا وجدوا ريح الخبر في بيت قالوا : لقد دخل إلیاس هذا المكان وطلبوه ولقي من أهل ذلك المنزل شرا . قال ابن عباس : أصاب بنى إسرائيل ثلاثة سنين القحط فمر إلیاس بعجز فقال لها : هل عندك طعام ؟ قالت : نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال : فدعا بهما بالبركة ومسه حتى ملا جرابها

دقيقاً وملأ خوابيه زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا : من أين لك هذا ؟ قالت : مر بي رجل حاله كذا وكذا فوصته بوصفه فعرفوه فقالوا ذلك إلياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم إنه أوى إلى بيت امرأة من بنى إسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا له فعوفي منضر الذي كان به اتبع اليسع إلياس فآمن به وصدقه ولزمه وكان يذهب حيث ما ذهب وكان إلياس قد أسن فكبير واليسع شاب ثم إن الله أوحى إلى إلياس : أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ومن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر فيزعمون - والله أعلم - أن إلياس قال : يا رب دعني أكن أنا الذي أدعوا لهم وآتيم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلهم أن يرجعوا وينزعوا عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له : نعم فجاء إلياس إلى بنى إسرائيل فقال : إنكم قد هلكتم جوعاً وجهداً وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وإنكم على باطل فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فأخرجوا بأصناكم فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا : أنصف فخرجوها بأوثانهم فدعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ثم قالوا إلياس : إننا قد هلكنا فادع الله تعالى لنا فدوا لهم إلياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فأقبلت نحوهم وطبقت الآفاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأغاثهم وأحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخت ما كانوا عليه فلما رأى ذلك إلياس دعا ربه الله أن يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون : انظر يوم كذا وكذا فخرج فيه إلى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كانا بالموضع الذي أمر أقبل فرس من نار وقيل : لونه كلون النار حتى وقف بين يديه فوتب عليه إلياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع : يا إلياس ما تأمرني ؟ فقد إليه إلياس بكائه من الجو الأعلى فكان إنسيا ملكيا أرضيا سماويا وسلط الله تعالى على آج الملك وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل آج وامرأته أزبيل في بستان مزدكي فلم تزل جيفتها ملقتين في تلك الجنينة حتى بللت لحومهما ورممت عطاهما ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولا إلى بنى إسرائيل وأوحى الله تعالى إليه وأيده فآمنت به بنى إسرائيل فكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم اليسع .

وروى السري بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : الخضر وإلياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام .

وقيل : إن إلياس موكل بالفيا في والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى : { وإن إلياس لمن المرسلين }